«الطاعون» والواقع المؤلم

عندما ذهبت لمشاهدة مسرحية "الطاعون" التي عرضت في قاعة المدرسة العمرية لمدة ثلاث ليالي متوالية كان في ذهني ان الطاعون ربما كان برمز لواقع سياسي نعيشه جميعا وان المسرحية تعالج هذا الواقع وتبين كيفية الخلاص منه. فهل حقا كانت "الطاعون" كذلك؟

للاجابة على السؤال لنستعرض المسرحية.

لحداثها تدور في قاعة الاستقبال "لفندق الوحدة" واشخاصها هم رواد الفندق وموظف الاستقبال وصاحب الفندق واولاده، ومن خلال نزلاء الفندق يستعرض الكاتب عينات اجتماعية مختلفة، وبالتالي قضايا نعاني منها بشكل او باخر.

فصاحب الفندق يمثل دور البورجوازي المترفع وهو يملك الى جانب فندقه مصنعا يعمل به عدد من العمال، ومنذ البداية يبرز حبه للمال وتهافته عليه حيث لا يهمه من رسائل اولاده "مسمير ونادية" سوى ماتحويه من شيكات او اوراق نقدية، وقد تهيأ للمشاهد في البداية ان اولاده مغتربون في الخارج ويرسلون له تلك النقود، لكن الاحداث فيما بعد تبين انهم يديرون مصنع والدهم الذي لا يهتم بالمصنع لدرجة ان المصنع كان معرضا للضياع، . الخسارة لولا ان العمال حرصوا على استمراره وهنا يبرز موقف يستحق التامل، هل حقا ان البورجوازي يهمل مصنعه الى حد التفريط بوجوده ؟ الواقع يقول ان البورجوازي "صاحب المصنع" يحرص على استمرار وجود المصنع لا حبا في العمال ولكن حرصا على مرابحه التي يجنيها من عرقهم. المهم ان اولاده يرفضون اقتراحه بمكافاة العمال "مائة ليرة لكل منهم" ولكن يصرون على ان المصنع يجب ان يكون للعمال انفسهم لانهم هم الذين انقذوه من الضياع، ومع اتفاقي الكامل مع الكاتب على ان العمال حريصون على استمرار المصنع على الاقل لانه يصدر رزقهم الا ان هؤلاء العمال لم يبرز لهم اي دور على الاطلاق في المسرحية حيث جرى النقاش والصراع ما بين صاحب المصنع واولاده وهذه تعتبر في نظري طبعة زائدة عن الحد، ان يكون اولاد البرجوازي مع العمال ضد ابيهم !! فطرنا الصراع الطبقي هم العمال من ناحية وصاحب العمل من ناحية اخرى فاين كان دور العمال في المسرحية؟؟ ثم من اين كانت تاتي النقود التي يرسلها "مسمير ونادية" لوالدهم؟ اليست من عرق العمال، فكيف اذن يوفق الكاتب بين موقف الابناء من العمال واستغلالهم لعرق العمال؟؟

قضية اخرى اجتماعية "تتعرض لها المسرحية ممثلة في شخص "امين" الذي جاءت تسميته مغالطة لسلوكه حيث يحترف السرقة، مع انه شاب جامعي ومثقف وكما يقول الاخ عبد العزيز روبين في مقالته بالطليعة يوم الخميس الماضي، وذلك لان "المجتمع قذفه قذف القاذورات لانه قرر العطاء" اهذا، حقا، معقول؟؟ الشاب الجامعي المثقف يسرق والمجتمع يرفضه لانه قرر العطاء؟؟؟ "وعندما قرر الاخذ قرر السلب والسرقة خضع له المجتمع وقبله" اي منطق هذا؟ والى اين يقود؟؟

ان الشاب الجامعي المثقف لا يتجه سلبيا اذا كانت فرصته في العمل محدودة بل يكافح ويبقى ايجابيا حتى النهاية، والمجتمع لا يرفض ابدا من يقرر العطاء رغم ما قد يعترض طريقه من صعاب، ان هذا الادعاء يقودنا الى الدعوة "للجامعي والمثقف" ان لا يعطي ان المجتمع يرفض كل من يكون سلبيا ويقرر الاخذ والسلب والسرقة، كان على الكاتب ان يرسم شخصية امين بطريقة اخرى، فلو انه لم يصل للجامعة واغلقت في وجهه كل الابواب فاراد الانتقام من مجتمع يحرمه من طموحاته، لو كان كذلك، لكانت شخصيته اكثر معقولية، ولو اننا تعمقنا في مسببات السرقة لوجدناها تختلف عما تطرحه المسرحية، فالسرقة سببها عدم تكافؤ الفرص في العمل الذي نتج عنه البطالة والفاقه والعوز. كما لا اظن ان شبابنا "الجامعي المثقف" يتجه مثل هذا الاتجاه السلبي، اي ان المسرحية كانت في واد والمجتمع في واد اخر.

القضية الثالثة التي تعرضها المسرحية تتمثل في شخصية "اديب فكري" الذي يسخر من الثقافة والصحافة ويستعمل العبارات الجوفاء ذات المظهر البراق والفاوية المحتوى، فيريد "تثقيف الممك" ويبسط الثقافة والصحافة الى حد التفاهة فهل هذا صحيح؟؟

اما سعيد وزوجته فكانا صورة حقيقية لما هو في الواقع، حيث لم يستطع سعيد الوصول الى فتاته "زوجته فيما بعد" لا بشهاداته ولا مركزه الاجتماعي وكفاءته، ذلك لانه في نظرها ليس "ابن عيلة" ولكن عندما يتصنع كونه "ابن عيلة" نراها تحبه وتتزوجه حتى اذا اكتشفت زيفه فيما بعد تعامله بغرور وغطرسة لانه ليس من طبقتها وهذا صحيح مئة بالمئة ذلك ان الحب هو ايضا طبقي في شكله ومضمونه وزوجة كهذه لا يمكن الاستمرار معها فكان القرار الحكيم بالانفصال، ولكن عجبا؟؟ ما الذي يغيرها بعد الطلاق ويجعلها تحاول العودة له؟

اما القضية الرئيسية في المسرحية فهي "مرض الطاعون" حيث يكتشف الطبيب "ايوب دعبوب" موت فار بالطاعون وما هو الطاعون ؟؟ هو مرض نفسي انعكس على جميع اشخاص المسرحية فاذا كلهم مرضى، واذا الكل "مطعون" بما في ذلك حسب ما يقول "ايوب دعبوب" وهو بدوره "مطعون" بالدور سياسي "كلكم سيصيبكم الطاعون" ياتي "الخبير" يتجول وهم ولا وجود له في الواقع.

وهذه القضية السرية المسرحية "الطاعون" اي النفسي: هل هي مرتبطة الحياة الاجتماعية؟؟ هل يشغل الجماهير؟ لم ان الاحتلال الذي يجثم على الجميع !!

المسرحية لم تتطرق هذه المسالة في حياة كل واذا لم يكن المسرح يعكس وهموم الناس الرئيسية فهو يفقد مقومات استمر بعد هذا كانت المسرحية الشعارات البراقة الى مس الاجتماعي"؟ انا اليها الفن انها تغير نوعي للانسان الى الوراء.

اما من حيث الادا موفقا حيث ظهرت التي يتمتع بها بشكل من الطبيب "ايوب والصحفي "اديب فكري" - كان موفقا وكذلك ولكن الموسيقى التصويرية ركيكة الى حد ما.

هذه بعض الملاحظ اعضاء "فرقة الفلسطيني" امل ان يتقبل كمشاهد للمسرحية لا اصل بعد لذلك. واعمل في عمل قادم يعبر الانسان الفلسطيني ويعا من منطلق سياسي واعي

عدنان

أزمة الأدب المحلي

- ٤ -

بقلم
حسين جميل البرغوثي

□ العالم الداخلي للانسان يسعى للتطابق مع العالم الخارجي. فالرغبات، مثلا، تسعى للحصول على المرغوب فيه، تسعى للتحقيق، والاحلام والاهداف تسعى لكي تصبح حقيقة، المثل العليا والاخلاق لكي تتصالح مع الممارسة، وهكذا دواليك.

ان الصراع النفسي يتولد مع الفشل في الوصول لهذا التطابق. لماذا؟ لان الانسان هو مجموعة حاجات هو هي، هي هو، على حد تعبير فورباخ. ان عدم القدرة على تحقيق هذه الحاجات، بالمعنى الواسع للحاجة، تولد الشعور بالالم. "الالم هو نتيجة التناقض، هكذا يقول هيغل.

ان الحرية التي لاتخلص الانسان من الصراعات النفسية هي حرية فارغة. وكلما ازداد تعقيد العالم الداخلي، كلما ازدادت الهوة بينه وبين العالم الخارجي، كلما ازداد هذا الصراع. ولا توجد في هذه الحالة الا امكانيتان:

اما ان يكون العالم الخارجي فاسدا، وبالتالي غير قادر على تلبية حاجات العالم الداخلي. او ان يكون العالم الداخلي على خطا او قد قطع مسافة لا يستطيع العالم الخارجي بلوغ مرحلة تلبيتها بعد. وهنا ناتي للسؤال الرئيسي: كيف نحل هذا الصراع؟ كيف نحقق التطابق؟ كيف نبلغ الحرية؟ هذه الاسئلة سؤال واحد.

سنستعرض الحلول والتفسيرات التي قدمها الادب البرجوازي في اوروبا. عبر هذه الدوره، نصل لتشخيص الادب المحلي بصورة اعمق، في المظاهر يبدو اننا ابتعدنا عن ازمة الادب المحلي، ولكن الحقيقة ان الرابطة ستتضح بصورة مفاجئة.

واردة. والبحث عن مخرج فردي هو السائد. وبالتالي الاتجاه الذاتي، التقوقع في داخل الذات، بهذه الدرجة او تلك، وسنستعرض هذا الطريق عبر امثلة نموذجية لكي نبرهن فشله.

الشخصية الرومانتيكية تعامل العالم الخارجي، الذي يسير حسب قوانينه الخاصة، وكانه جزء من ذاتها، وبكلمة واحدة: الذات هي المقياس الحقيقي، وفهمها للحياة والوجود هو الحقيقي، انها تتمسك بالعالم الداخلي وتنسحب من العالم ورفضه لان له قوانينه الخاصة. اذن تستقيل عن العالم الخارجي لكي تعكس فقط عالمها الداخلي. هذا هو الطريق الذي قاد للجحيم. لا نريد الان تتبع الطريق الذي قاد لأزمة الادب الاوروبي بالتفصيل. وفقط سنختار المحطات الرئيسية التي قادت الى الذاتية العدمية.

الرفض السريالي (في الشعر) يختلف عن الرفض الرومانتيكي.

انطلقت السريالية كحركة ادبية على يد اراغون وعزرا باوند بشكل اساسي بعد قرن كامل من بداية الرومانتيكية تقريبا ومن ظروف الحرب العالمية الاولى بالذات. على حين انطلقت من الظروف التي تلت سقوط الاقطاع وظهور البرجوازية بعد الثورة الفرنسية. لقد كان اهتزاز العالم الداخلي والصراعات النفسية عند الرومانتيكيين نتيجة لسقوط القيم والاخلاق والعادات وتبود الشخصية الاقطاعية امام قوة المال، حيث اصبح الضمير والشرف والجمال والدين والاخلاق..الخ عبارة عن جمل فارغة والمال هو القوة الحقيقية، الاله الجديد. فانسحب الرومانتيكيون من هذا العالم في البداية، نحو القيم الثابتة والاستقرار الاقطاعيين وبالتالي فقد كانت حركة رجعية في الادب، ان الذاتية الرومانتيكية هي الدهليز الذي بدأت فيه الاستقالة من التعبير عن الواقع ككل، عن الطبيعة والمجتمع والانسان كوحدة واحدة.

ولكن اهتزاز العالم الداخلي للشخصية السريالية ينطلق بسقوط القيم البرجوازية ذاتها، عند الرومانتيكية.

والنتيجة الضرورية لهذه الشخصية هي "خيبة الامل". تكتشف، مثلا، بأن الشخص الذي تحبه، مختلف جدا عما "تتخيله" عنه فيخيب املها. وبعد تجارب معينة من مثل هذا النوع، تبدأ هذه الشخصية في رؤية الجانب السلبي فقط الجانب المؤلم من الاشياء. وينمو شعور يمكن ان نسميه: "بالانجراح الكوني"، وهو الشعور بأن كل شيء، النجوم الغروب، الناس، كل شيء يثير الالم. ان تعميم الماضي التجربة السابقة يقود لهذا الشعور للالم والحزن المجردين عن الاسباب الحقيقية.

وتفضل الشخصية الرومانتيكية هنا الانسحاب من العالم، حاملة معها الما مجردا، انجراحا كونيا، لتخلق في الشعر خاصة، عالما ذاتيا خاصا، جميلا، متناسقا، حزينا بتاثير الانجراح الكوني، اذا ما قورن العالم الخارجي بهذا العالم الشعري يبدو تافها ، فقيراً، قاسيا، متناقضا، لنأخذ مثلا على ذلك خليل مطران كاحد المتأثرين بهذا الاتجاه:

ولقد ذكرتك والمساء مورد
ورجاء
والشمس بين مهابة
والدمع من عيني يسيل مشعشعا
بسنا الشعاع الغارب الـ
متراثي
والشمس في افق السماء تمددت
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن اخر دمعة للكون قد
مرجت باخر دمعة لرثائي

هنا نرى الهرب للذكريات، ونرى الحزن والتناسق والرقة، هذه هي الصورة المعكوسة للعالم الخارجي.

الرومانتيكية اذن لا تستطيع حل التناقض ولكنها تدركه، انها احتجاج ذاتي، رفض ذاتي للعالم الفاسد، لكنها تعتقد بوناء

الاقطاعية هي العدو السريالية لا يوجد وراءه بديل ويبقى الرفض هو المخرج الاخير. تنطلق من نظرية فرويد عن "اللاو

فرويد يقسم النفسية اساسية الى "الانا الشعو تتكون من مجموعة غرائز تتغير ، على راسها الجنسية التي تتحكم في الفرد وتسعى "الانا" لتحقيق هذه الغرائز كالحيوانات، ولكن "الا وهي تتكون من العادا والتقاليد وقوانين الاجتماعي ..الخ. تكبت السفلى" وتكبتها، المكبوت في غريزته الجنسية - يصبح شخصية مشوهة الكبت في اعماق نفسه في منطقة "اللاوعي" النسيان او الاختفاء ليست صدفة بل هي اعماق لاوعي و لانه الفرد، عندما يفلت من تحت رقابة "الانا

لقد ادت الحرب الاولى الى حدوث اهتزا الايمان بالاخلاق والعادا فنمت الحركة السريالية هذا التناقض ورفضت العليا" لانها قيود على ، قيود من العالم الخا العالم الداخلي تقوم ويهيه وانتهت الى وتوماتيكية اي كتابة ا اية رقابة للعقل او ا العليا" بصورة الى يستطيع الشاعر فيها اعماق شخصيته، عن اللاوعي هو الذي بالكتابة الاتوماتيكية